الفصل السادس

- «حسان «يضرب بيده على طرف الكرسي غاضبًا - مستحيل أي حياة تلك التي تعيشين، وهل من الممكن أن تكون والدتك لا تعي ما يحدث لك كيف؟

هل هو غباء أم جهل أم أنها أحبته لدرجة لم تعد ترى أو تسمع إلا من خلاله، ليتني لم أكن بذاك الغباء وتلك الأنانية ربما استطعت حمايتك مما أنت فيه، ولكن كيف لي أن أفعل وأنا الرجل الشرقي، «أريدك فتاة لا يراك غيري ولا تمسك يدًا غير يدي»

«بكل غباء وقعت في براثين وألاعيب محمود القذرة التي مارسها ليوهمني أنك فتاة سهلة المنال لا تستحق الحب، كم كنت غبيًا»

يتكلم حسان بحزن بالغ حد الندم والقهر، ودموعه تسيل على وجنتيه يبكي بحرقة...ويتابع أنا واحد من هؤلاء الذين ساهموا بقتل روحك، كم أتمنى أن تعودي إليّ وأحاول بما تبقى لي من حياة أن أكفر عن غبائي وأهبك حياتي لعلك تنسي تلك السنين.

«يتابع حسان القراءة بعينين تملأهما الدموع»:

- أكملت والدتي: هو حقا مثل أخ لي، رب أخٍ لك لم تلده أمك وهذا هو الواقع.

تركتها وذهبت لغرفتي وتهاويت بجسدي على السرير، كنت كارهة لجسدي مشمئزة من رائحته الكريهة التي تركتها أنفاسه على مسامات جلدي، انتفضت من مكاني وذهبت إلى الحمام، لأغسل ماعلق على جسدي منه ورميت بثيابي على الأرض وكأني أرمي ثوب الرذيلة الذي شعرت به علق في ثيابي وجسدي، وخرجت من الحمام ودموعي تنهمر وشعري الطويل الأسود مبلًا يرتمي بعشوائية على كتفي إخوتي بالغرفة ولكني لم أر أحدًا وهم أيضًا لم يروا دموعي وتلك الحالة التي كنت بها...ارتميت على سريري وأخرجت حبة من الدواء أخذتها لعلي أرتاح من عناء التفكير بما حدث.مرت أعوام على تلك الحالة من الضياع واختلاط الأمور وتناقضها أدمنت

الحبوب المهدئة وشرب السجائر وما كنت آخذه منها مالحين ذهابي إلى المكتب، يكفي تلك الأمور، كنت أنظر لوالدي الذي وجوده لم يتعد الخيال..خيال في البيت رجل عجوز تعب بشعره الأبيض وجسده النحيل لا يتواجد معنا إلا ماندر، مساءً وقت العشاء لم يكن له أي دور في حياتنا سوى أنه والدي، أشفق عليه ولكن لم أكن أحترم صمته على ما يحدث وخاصة بعد ما علمت أنه يتقبل هذا الرجل دون صفة قرابة، وكان هذا الأمر يجعلني كلما نظرت إليه أقول بيني وبين نفسي ما الذى يدفعك لقبول مثل هذا، ليتك تعلم ما يحدث لنا، ترى حينها هل تستمر بهذا الصمت، وأشيح بنظري إلى أختي لمى وأعيد سؤالي وأنت حين تكوني هناك هل يحدث معك كما يحدث معي ولا تستطيعين الكلام، ليتني أستطيع اختراق جدار الصمت وأصرخ بكل ما في داخلي وأعرف ما بداخلكم جميعًا ودون فائدة سيبقى الصمت وكل منا في داخله ألف سؤال وليس عندنا الجرأة لطرحه.

هي سنوات مرت على هذا الحال إلى أن تعرض والدي لمرض أقعده حبيس الفراش دون حراك، وكنت أسمع والدتي تتحدث مع من يأتون من أقارب لنا أن وضعه سيئ وهو بين يدي الله وهي تحضر لها ولنا ملابس الحداد وكأنها أيقنت بموته.

ومات والدي وانهار كل شيء، كنت موقنة أن وجوده وعدمه سواء، ولكن ما حدث بعد وفاته أكد لي أنه كان جسر الحماية لنا، رغم صمته والحزن الذي كان يملأ عينيه، بدأت الحياة تأخذ مجرى آخر، حتى نظرات الناس تغيرت، وألسنتهم التي كانت لا تستطيع الكلام بدأت تتجرأ، لم تتجاوز فترة خمسة شهور على وفاة والدي وكانت والدتي قد أعلنت زواجها ممن كانت تدعي أنه أخوها الذي لم تلده أمها، وهنا بدأت المشكلات على أوجها.